جامعة الملك سعود
كلية التربية
قسم الثقافة الاسلامية
مسار التفسير والحديث

تفسير سورة الرعد من أية (١٣-١٨)

جمع وإعداد
زهراء بنت علي الحازمي

إشراف/ د. وفاء الزعاقي

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ

مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿١٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡحِسَابِ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿١٨﴾

الآية الأولى

قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

(ويسبح الرعد بحمده):

اختلف في المراد بـ " الرعد "، والمقصود بتسبيحه على أقوال[1]:

الأول: أن الرعد اسم الملك الموكل بالسحاب، والصوت المسموع هو تسبيح الملك، وهو تسبيح حقيقي، (يسبح) : فعل، وفاعله: (الرعد)، وقيل: أن الصوت المسموع : هو زجره للسحاب، والمسبحون هم : سامعوا هذا الصوت، وهو أيضاً تسبيح حقيقي، على تقدير حذف مضاف، أي: (يسبح سامعوا الرعد).

الثاني: أنه الصوت المسموع، وإنما خص الرعد بالتسبيح؛ لأنه من أعظم الأصوات، وأن إخباره عن الصوت بالتسبيح مجاز.

الثالث: ريح تختَنِقُ تحت السحاب فتصَّاعد، فيكون منه ذلك الصوت[1].

والراجح -والله أعلم- والذي عليه أكثر المفسرين هو القول الأول، ويشهد له حديث ابن عباس —رضي الله عنهما—، قال : "أقبلت يهود على النبيّ ﷺ فقالوا : يا أبا القاسم، أخبرنا

---

[1] ينظر: تفسير ابن الجوزي، النسفي، الشربيني.

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٣٦١).

عن الرعد ما هو ؟ فقال : (ملك من الملائكة، موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار، يسوق بها السحاب حيث شاء الله)، فقالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: (زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر)، قالوا: صدقت"[١].

والمراد بقوله:(بحمده) أي: يعظم الله الرعد ويمجده، فيثني عليه بصفاته، وينزهه عما أضاف إليه أهل الشرك به، ووما وصفوه به من اخاذ الصاحبة والولد ، تعالى ربنا وتقدس.(قاله الطبري)

(والملائكة من خيفته): أي من هيبته وإجلاله[٢]، و (الواو) عاطفة، و(الملائكة) معطوفة على (الرعد).

(**خيفته**) : اختلف في رجوع (هاء الكناية) على قولين[٣]:

١/ أنها ترجع إلى الله ﷻ ، وهو الأظهر. قال الطبري: وتسبح الملائكة من خيفة الله وهيبته.

٢/ أنها ترجع إلى الرعد، وهو منسوبٌ للماوردي.

(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء) :

(**الصواعق**): جمع صاعقة، وهي نار تسقط من السماء[٤]، وقيل: العذاب المهلك ينزل من البرق فتحرق من تصيبه[٥] .

سبب نزول هذه الآية:

نزلت في أَرْبَدَ أخي لبيد بن ربيعة، وكان قد هَمَّ بقتل رسول الله ﷺ هو وعامر بن الطفيل، أتيا إلى رسول الله ﷺ يريدان الفتك به، فقال: (اللهم اكفنيهما بما شئت) ، فأما أربد فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته، وأما عامر فأصابته غُدّة فهلك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(وهم يجادلون في الله)

اللغة/ [الواو] لها معنيان[٦]:

---

(١) أخرجه الترمذي (رقم: ٣١١٧)، والنسائي في (السنن الكبير) (رقم: ٩٠٢٤)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

(٢) ينظر: الزمخشري، ابن عطية، القرطبي.

(٣) ينظر: تفسير ابن الجوزي (ص: ٧٢٩).

(٤) ينظر: تفسير النسفي (٢/ ٥٤١).

(٥) ينظر: تفسير الشربيني (٢/ ١٤٤).

(٦) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٤/١٩) .

١/ قيل: أنها للحال أي: (فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم) .

٢/ قيل: أنها للاستئناف.

والجدال: التشدد في الخصومة[١].

والمعنى: أن الذين كفروا وكذّبوا رسول الله وأنكروا آياته يُجادِلُونَ فِي اللَّهِ حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق[٢].

(وهو شديد المِحَال)

المِحَال : مصدر من قول القائل: ما حلتُ فلاناً، فأنا أمَاحِلُه مُمَاحَلةً ومِحَالاً، والمعنى أن الله شديدة مُماحلتُه في عقوبة من طغى عليه وعَتَا، وتمادى في كفره[٣].

واختلف في المقصود بمعنى "المِحال" على أقوال[٤]:

الأول: أنّ الله شديد الأخذ والعقوبة، قال بذلك: علي ومجاهد وغيرهم.

الثاني: أن الله شديد الحيلة، قاله قتادة.

الثالث: أن الله شديد الحَول، رواه ابن جريج عن ابن عباس.

وقد رجح الإمام الطبري – رحمه الله – أنّ القول الأول هو الأقرب لمعنى (المِحال)، لأن تأويلها بـ (الحيلة) أو (الحَول) لا يستقيم مع قراءة الآية (المِحال) .

يقول الطبري – رحمه لله –:"والقول الذي ذكرناه عن قتادة في تأويل (المحال) أنه (الحيلة)، والقول الذي ذكره ابن جريج عن ابن عباس، يدلان على أنهما كانا يقرآن (وهُوَ شَدِيدُ المَحال) بفتح الميم؛ لأن (الحيلة) لا يأتي مصدرها (مِحَالاً) بكسر الميم.

ولكن قد يأتي على تقدير المِفْعَلة منها، فيكون مَحالة، ... ، فأما بكسر الميم، فلا تكون إلا مَصدرا، من (ماحلتُ فلاناً أماحله مِحالاً)، و(المُمَاحلة) بعيدة المعنى من (الحيلة) "[٥].

الآية الثانية

---

(١) ينظر: تفسير البيضاوي (٣ / ١٨٣).

(٢) ينظر: الكشاف (٥١٩/٢)

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٩٤)

(٤) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٣٩٥ – ٣٩٦)

(٥) تفسير الطبري (١٣ / ٤٨٥).

قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ١٤﴾.

(لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ): **(له)**: الضمير يعود على الله جلّ وعلا.

و (دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ): وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) ، والمعنى : لله من خلقه الدعوة الحق[1].

(وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ) أي: الآلهة التي يدعونها المشركون أرباباً وآلهة من دون الله[2].

(لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ) أي: لا تجيب هذه الآلهة التي يدعوها هؤلاء المشركون، بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضر[3].

(إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ) ضرب الله عز وجل الماء مثلاً لإياسهم من إجابة دعائهم؛ لأن العرب تضرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقابض الماء باليد[4].

وفي معنى هذا المثل عدة أوجه منها، ما يلي:[5]

الأول: أن الذي يدعو إلهاً من دون الله كالظمآن الذي ينظر إلى الماء، ويريد تناوله، فيدعوه بلسانه، ويشير إليه بيده، فلا يأتيه أبداً، قاله مجاهد.

الثاني: أنه كالظمآن الذي يرى خياله في الماء من بعيد، ويريد أن يتناوله ولا يقدر عليه، قاله ابن عباس.

(وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ)

فيها قولان[1]:

١) ما دعاء الكافرين ربهم إلا في ضلال؛ لأن أصواتهم محجوبة عن الله، رواه الضحاك عن ابن عباس –

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣ / ٤٨٥)، تفسير ابن الجوزي(ص: ٧٢٩)، تفسير الشربيني (٢/ ١٤٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٣ / ٤٨٦)، تفسير البيضاوي (٣ / ١٨٤).

(٣) ينظر: المصدر السابق.

(٤) ينظر: تفسير الماوردي، والسمرقندي، والقنوجي.

(٥) ينظر: المصدر السابق.

(١) ينظر: تفسير ابن الجوزي (ص: ٧٣٠).

رضي الله عنهما-.

٢) ما عبادة الكافرين الأصنام إلا في خسران وباطل، قاله مقاتل.

وكلاهما واقع، فدعاء الكافرين في ضياع، لا منفعة فيه، لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم، وإن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم[٢].

الآية الثالثة

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿١٥﴾﴾.

(وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا): أي إن امتنع هؤلاء الذين يدعون من دون الله شركاء؛ من إفراد الطاعة وإخلاص العبادة له، فلله يسجد من في السموات من الملائكة الكرام، ومن في الأرض من المؤمنين به طوعًا، فأما الكافرون به، فإنهم يسجدون له كَرْهًا حين يُكْرَهون على السُّجود[١].

واختلف العلماء في المراد بـ (السجود) في هذه الآية على أقوال:

الأول: أن السجود شرعي، فهو في أهل السموات والأرض من العام المخصوص.

الثاني: أن السجود لغوي بمعنى التطامن والتذلل، وعليه فهو باق على عمومه.

والراجح – والله أعلم – القول الأول؛ لأن النص إن دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة اللغوية حمل على الشرعية.

ومن قال بالقول الثاني رأى أن السجود سجود ذل وخضوع لله فيشترك فيه المؤمن والكافر؛ لأن أصل السجود في لغة العرب الذل[٢]والتطامن. **قال ابن فارس: وكل ماذل فقد سجد.**

وإعراب **[طوعاً وكرهاً]** : إمّا مفعول لأجله، وإمّا حال، أي: طائعين وكارهين[٣].

(وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ):

---

(٢) ينظر: تفسير الطبري ٤٩١/١٣، البيضاوي ١٨/٣، تفسير النسفي(٢/ ٥٤١)، تفسير الشربيني (٢/ ١٤٤).

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٣ / ٤٩١).

(٢) ينظر: أضواء البيان (٣ / ١١٧).

(٣) ينظر: تفسير الشربيني (٢/ ١٤٤).

(وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ)، أي: البكور[٦].

(وَٱلْآصَالِ) جمع أُصُل، والأُصُل جمع أصيل، والأصيل: هو العشي وهو ما بين العصر والمغرب[١].

واختلف في تفسير المراد من **سجود الظلال** على قولين[٢]:

١/ أنّ كل شخص سواء كان مؤمناً أو كافراً، فإنّ ظله يسجد لله، فأمّا ظل المؤمن يسجد لله تعالى وهو طائع، وظل الكافر يسجد له وهو كاره.

٢/ وقيل: المراد من سجود الظلال ميلها من جانب إلى جانب، وطولها بسبب انحطاط الشمس، وقصرها بسبب ارتفاع الشمس، وهي منقادة مسلسلة في طولها وقصرها وميلها من جانب إلى جانب.

وإنما خص الغدوّ والآصال بالذكر؛ لأنّ الظلال إنما تعظم وتكثر في هذين الوقتين.

الآية الرابعة:

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ ﴾.

صلة الآية بما قبلها :

لما بيّن تعالى أن كل من في السموات والأرض ساجد لله تعالى عدل إلى الردّ على عُباد الأصنام بقوله تعالى: (قل من رب السماوات والأرض ...)[١].

(قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ): أي قل يا محمد للكفار من رب السموات والأرض؟ استفهام تقرير واستنطاق بأنهم يقولون: (الله) ، فإذا قالوها قل: (الله)[٢] ، أو أجب عنهم بذلك إن لم يقولوه، ولا

---

(٦) ينظر: تفسير الطبري (١٣ / ٤٩٣)، تفسير البيضاوي (٣ / ١٨٩)، أضواء البيان (٣ / ١١٩).

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) ينظر: تفسير النسفي(٢/ ٥٤١)، الشربيني (٢/ ١٤٤)

(١) تفسير الشربيني (٢/ ١٤٤)

(٢) تفسير ابن كثير، أبو حيان، وأبو السعود.

جواب لهم غيره، ولأنه البين الذي لا يمكن المراء فيه[٣].

يقول ابن الجوزي: " إنما جاء السؤال والجواب من جهة؛ لأن المشركين لا ينكرون أن الله خالق كل شيء، فلما لم ينكروا كان كأنهم أجابوا، ثم ألزمهم الحجة بقوله : (أفاتخذتم من دونه ....) [٤].

(قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا)

(قل أفاتخذتم): استفهام على سبيل التوبيخ والإنكار؛ ومعناه: أي بعد أن علمتم أنه تعالى هو رب السموات والأرض تتخذون من دونه أولياء[٥].

(لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا): أي : لا يقدرون على نفع أنفسهم ولا على دفع الضر عنها ، فكيف يستطيعونه لغيرهم[٦] ؟ !

(قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ): ضرب الله مثلاً للمشركين الذين يعبدون الأصنام والمؤمنين اللذين يعبدون الله بالأعمى والبصير، يقول ابن عباس: "يعني المشرك والمؤمن، وإنما مثل الكافر بالأعمى؛ لأنه لا يهتدي سبيلاً، فكذلك الكافر لا يهتدي سبيلاً"[١].

(أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ)

(**تستوي**) : وردت فيها قراءتان[٢]:

١/ (تستوي) : لابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم.

٢/ (يستوي) : قُرئت بالياء[٣]،حمزة والكسائي وشعبة عن عاصم.

(**الظلمات والنور**) : يعني: الكفر والإيمان، والجواب : (لا).

والمعنى: وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر كالأعمى والبصير، والهدى والضلالة كالظلمات والنور، فالمؤمن

---

(٣) تفسير الشربيني (٢/ ١٤٤)

(٤) تفسير ابن الجوزي (ص: ٧٣٠) ، وتفسير السعدي.

(٥) أبو حيان ٣٠٩/٥.

(٦) البحر المحيط .

(١) ينظر: ابن الجوزي (ص: ٧٣٠) ، النسفي(٢/ ٥٤١)، والشربيني (٢/ ١٤٤).

(٢) تفسير: ابن كثير، أبو حيان، أبو السعود.

(٣) تفسير البيضاوي (٣ / ١٨٥).

في هُداه كالبصير يمشي في النور، والكافر في ضلاله كالأعمى يمشي في الظلمات ، وهما لا يستويان ، فكذلك المؤمن والكافر لا يستويان(٤).

(أَمْ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلْقِهِۦ)

(**أم جعلوا لله شركاء**) : الهمزة للإنكار، ومعناها: أي: بل أجعلوا لله شركاء؟!.

(**خلقوا كخلقه**): صفة شركاء، أي: خلقوا مثل خلق الله ، سماوات وأرضين وشمساً وقمراً وجبالاً وبحاراً وجناً وإنساً(٥).

قوله: (فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ) أي: فاشتبه عليهم خلق الله بخلق أولئك الشركاء، فلا يدرون ما خلق الله ولا ما خلق آلهتهم(٦).

(قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ)يقول عز وجل لنبيه محمد ﷺ : قل لهؤلاء المشركين إذا أقرُّوا لك أن أوثانهم التي أشركوها في عبادة الله لا تخلق شيئًا، فاللهُ خالقكم وخالق أوثانكم وخلق كل شيء، فما وجه إشراككم ما لا يخلق ولا يضرّ (٧).

(وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ): أي وهو الفرد الذي لا ثاني له، القهار الذي يستحق الألوهية والعبادة، لا الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع(٨).

قال تعالى:﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدٗا رَّابِيٗاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ ١٧﴾.

صلة الآية بما قبلها:

ولما كان حمل الماء في العلو لا يمكن إلا عن قهر، وإنزاله في وقت دون غيره كذلك ، أتبع هذا

---

(٤) تفسير الماوردي، القنوجي ، السمرقندي.

(٥) تفسير النسفي(٢/ ٥٤١)، والشربيني (٢/ ١٤٤).

(٦) المصدر السابق.

(٧) تفسير الطبري (١٣ / ٤٩٦)، وانظر: تفسير البيضاوي (٣ / ١٨٥)، وانظر: أضواء البيان (٣ / ١١٩).

(٨) المصدر السابق.

الختم قوله دليلاً مشاهداً عليه[١].

(أنزل من السماء): أي: السحاب، أو السماء نفسها[٢]، وقيل: أي من جهتها والتنكير للتكثير أو للنوعية[٣].

(أودية بقدرها) أودية: جمع واد، وهو كل منفرج بين جبلين أو نحوهما[٤].

(بقدَرها): فيسيل بقدَرها، أي بمبلغ ما تحمل، فإن صغر الوادي قلّ الماء، وإن هو اتسع كثر.

وقوله: (فسالت أودية): أي سالت مياهها، فحذف المضاف، وكذلك قوله : (بقدرها) أي: بقدر مياهها[٥].

(فاحتمل السيل): أي رفع.

(زبداً): هو ما علا على وجه السيل من الرغوة[٦].

(رابياً): أي: عاليا منتفخاً مرتفعاً فوق الماء.

وهذا مثل ضربه الله تعالى للحق والباطل، فالحق ممثل بالماء الذي يبقى في الأرض فينتفع به، والباطل ممثل بالزبد الذي يذهب جُفاءً لا ينتفع به[٧].

(ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله)

(ومما يوقدون عليه في النار): (مِن) لابتداء الغاية، أي: ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء، أو للتبعيض أي: بمعنى وبعضه زبد مثله[١].

(ومما يوقدون): وردت فيها قراءتان[٢]:

١/ (توقدون) : لابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وشعبة عن عاصم.

---

(١) نظم الدرر/ البقاعي ٤/١٤٠.

(٢) ينظر: تفسير ابن الجوزي (ص: ٧٣٠) ، النسفي(٢/ ٥٤١)، والشربيني (٢/ ١٤٤).

(٣) فتح القدير، ٣/٨٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) ينظر: تفسير ابن الجوزي (ص: ٧٣٢).

(٦) ينظر: تفسير النسفي (٢/ ٥٤١)

(٧) السمرقندي، والماوردي، والقنوجي.

(١) السمرقندي، الماوردي، القنوجي.

(٢) ينظر: تفسير ابن الجوزي (ص: ٧٣٠)، والشربيني (٢/ ١٤٤).

٢/ (يوقدون) : لحمزة والكسائي وحفص عن عاصم.

(**عليه في النار**): ما يدخل النار فيذاب من الجواهر، و(في النار) حال من الضمير (عليه).

(**ابتغاء حلية**) : مبتغين حلية من الذهب والفضة.

(**أو متاع**): من الحديد والنحاس والرصاص تتخذ منه الأواني والأشياء التي ينتفع بها.

(**زبد مثله**) : المراد بالزبد هنا (الخبث) فإنه يعلو فوق ما أذيب من تلك الأجسام كما يعلو الزبد على الماء فالضمير في مثله يعود إلى زبداً رابياً وزبد مبتدأ وخبره مما توقدون، ووجه المماثلة أن كلا منهما ناش من الأكدار[٤].

والمراد من هذا[٥]: تشبيه الكفر بالزبد الذي يعلو الماء فإنه يضمحل ويعلق بجنبات الوادي وتدفعه الرياح، فكذلك يذهب الكفر ويضمحل.

﴿كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ﴾:

(**كذلك**): أي: مثل هذا الضرب العليّ الرتب، المتبيّن السبب.

(**يضرب الله الحق والباطل**): يضرب الله مثل الحق والباطل، على وجه التقديم والتأخير، يعني: هكذا يضرب الله المثل للحق والباطل.

(**فأما الزبد**): من السيل، أو ما أوقد عليه من الجواهر.

(**فيذهب جفاء**) : أي: حالاً متلاشياً، لا منفعة فيه ولا بقاء له.

ويقال: جفأ الوادي بالهمز جفاء إذا رمى بالقذر والزبد، والجفاء بمنزلة الغثاء[١]

(**وأما ما ينفع الناس**) : من الماء والجواهر التي زال زبدها.

(**فيمكث في الأرض**): فينتفع به الناس. كذلك يبقى الحق لأهله.

يقول ابن عاشور: "واكتفي بذكر وجه شبه النافع بالماء، وغير النافع بالزبد، عن ذكر وجه شبه النافع

---

(٤) تفسير الماوردي، والقنوجي، والسمرقندي

(٥) المصدر السابق.

(١) ينظر: فتح القدير، ٣/٩٠.

بالذهب أو الفضة، وغير النافع بزبدهما استغناء عنه"[1].

(**كذلك**): أي: مثل ذلك الضرب.

(**يضرب الله**): أي يبين جل وعلا.

(**الأمثال**): أي فيجعلها في غاية الوضوح وإن كانت في غاية الغموض.

يقول ابن عاشور: "وجملة (**كذلك يضرب الله الأمثال**): مستأنفة تذييلية لما في لفظ الأمثال من العموم، فهو أعم من جملة (**كذلك يضرب الله الحق والباطل**) "[2].

قال تعالى:﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾.

صلة الآية بما قبلها:

ولما تم ما للحق والباطل في أنفسهم من الثبات والاضطراب ، ذكر ما لأهلهما من الثواب والعقاب[1].

(**للذين استجابوا لربهم**) : خبر مقدّم لـ (الحسنى).

والمراد بهم: المؤمنين، و(استجابوا) متعلقة بـ (يضرب)، أي: كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم[2]، وأجابوه إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعدل والتزام الشرائع على لسان محمد ﷺ[3].

(**الحسنى**): مبتدأ مؤخّر[4] ، أي: أجابوا دعوته إذ دعاهم إلى توحيده وتصديق أنبيائه والعمل بشرائعه[5]، وهي بمعنى الجنة، كما قال الجمهور.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٣/١٢٣.

(٢) المصدر السابق

(١) نظم الدرر/ البقاعي ٤/١٤٤.

(٢) تفسير النسفي، والشربيني، وابن الجوزي.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير الماوردي، والقنوجي.

(**والذين لم يستجيبوا له**) : مبتدأ، يعني: الكفار[٧]، ولهم أنواع ثلاثة من العقوبة كما سيأتي[٨].

(**لو أن لهم ما في الأرض جميعا لا فتدوا به**): خبر (والذين لم يستجيبوا ...)، أي: لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لجعلوه فداء أنفسهم من العذاب، ولا يقبل منهم[١].

يقول ابن عاشور: " استئناف بياني لجملة (كذلك يضرب الله الأمثال)، أي: فائدة هذه الأمثال أن للذين استجابوا لربهم حين يضربها لهم الحسنى إلى آخره، فمناسبته لما تقدم من التمثيلين أنهما عائدان إلى أحوال المسلمين والمشركين، ففي ذكر هذه الجملة زيادة تنبيه للتمثيل، وللغرض منه مع ما في ذلك من جزاء الفريقين، لأن المؤمنين استجابوا لله بما عقلوا الأمثال فجوزوا بالحسنى، وأما المشركون فأعرضوا ولم يعقلوا الأمثال، فكان جزاؤهم عذاباً عظيماً وهو سوء الحساب الذي عاقبته المصير إلى جهنم" [٢].

(**أولئك لهم سوء الحساب**) فيه ثلاثة اقوال[٣]:

١/ أنها المناقشة بالأعمال، وفي الحديث: (من نوقش الحساب عُذب).

٢/ أن لا تقبل منهم حسنة ولا يتجاوز لهم عن سيئة.

٣/ أنه التوبيخ والتقريع عند الحساب

والمعنى: هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئا، ولكن يعذبهم على جميعها[٤].

(ومأواهم جهنم) : أي ومرجعهم بعد المحاسبة النار، وذلك؛ لأنهم كانوا غافلين عن الاشتغال بخدمة المولى، عاشقين للذات الدنيا، فإذا ماتوا فارقوا معشوقهم، فيحترقون على مفارقتها، وليس عندهم شيء آخر يجبر هذه المصيبة، فلذلك كان مأواهم جهنم[٥].

(وبئس المهاد) : المكان الممهد، والمذموم محذوف، أي: جهنم.

من هدايات الآيات:

---

(٧) المصدر السابق.

(٨) المصدر السابق.

(١) تفسير النسفي.

(٢) التحرير والتنوير ١٢٣/١٣.

(٣) تفسير ابن الجوزي.

(٤) تفسير الطبري (١٣ / ٥٠٥).

(٥) تفسير الشربيني.

- إثبات تسبيح الرعد لله سبحانه وتعالى، كما في قوله تعالى: (ويسبح الرعد بحمده).

- بيان ظلال المشركين في دعوتهم واستغاثتهم بغير الله تعالى، وتشبيه حالهم بحال من يريد الشرب، فيبسط يده للماء بلا تناول له، وليس بشارب مع هذه الحالة؛ لكونه لم يتخذ وسيلة صحيحة لذلك.

– أن من وسائل الإيضاح في القرآن: ضرب الأمثال، وهي تقرب المعقول من المحسوس، وتعطي صورة ذهنية تعين على فهم المراد.

– إثبات سجود جميع الكائنات لله تعالى طوعاً، أو كرهاً بما تمليه الفطرة من الخضوع له سبحانه.

– أن من وسائل الإيضاح في القرآن: ضرب الأمثال، وهي تقرب المعقول من المحسوس، وتعطي صورة ذهنية تعين على فهم المراد.

– في قوله تعالى: (أنزل من السماء ماء فسالت أودية ....)، قال ابن الجوزي: وفيما ضُرب له هذان المثلان ثلاثة أقوال :

الأول: أنه القرآن شبه نزوله من السماء بالماء، وشبه قلوب العباد بالأودية تحمل منه على قدر اليقين والشك والعقل والجهل، فيستكن فيها فينتفع المؤمن بما في قلبه كانتفاع الأرض التي يستقر فيها المطر، ولا ينتفع الكافر بالقرآن لمكان شكه وكفره، فيكون ما حصل عنده من القرآن كالزبد وكخبث الحديد لا ينتفع به.

والثاني: أنه الحق والباطل، فالحق شبه بالماء الباقي الصافي، والباطل مشبه بالزبد الذاهب، فهو وإن علا على الماء فإنه سيمحق، كذلك الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال فإن الله سيبطله.

والثالث: أنه مثلٌ ضربه الله للمؤمن والكافر، فمثل المؤمن واعتقاده وعمله كالماء المنتفع به، ومثل الكافر واعتقاده وعمله كالزبد .